ستيفانو رولا... الحلم لا يسع الأفق

خضير فليح الزيدي

رمش عين أو أدنى قليلاً، المسافة بين روما وشوارع لكش وركام أور العتيقة.. حين أحزمت حقيبتك وعلى كتفك كاميرا، وجواز سفر إيطالي كان يحمل في طياته تفاصيل عن حياتك ومهنتك - مخرجاً سينمائياً مغارداً بتأشيرة دخول إلى بلد دوخ الدنيا بأخباره المتلاحقة كل يوم بكل ما هو جديد وسلبي كل ساعة ودقيقة.. حللت ضيفاً في مضايف القصب في أتون الهور الذي لم تبتل عروقه بعد ولم يرتو ومتأملاً عيدان القصب الناتئة ثم ذهبت في عمق التاريخ المزعوم صوب أور وشوارعها وقبور ملوكها وقواريرها المتناثرة بين حبات الرمل والتي أصبحت رزقاً يومياً للصوص والمضاربين على خراب ما تبقى من خراب.. تبحث وتؤشر وتسجل ملاحظاتك عن الأمكنة والأزمنة الغابرة مسجلاً ذلك في أجندتك التي احترقت من ضمن ما احترق.. إنه الحلم المهاجر كسرب سنونو من جنبات روما القديمة إلى تفاصيل الناصرية فاغرة الفاه. في المقهى تناقلنا الخبر بدهشة وسرور - مخرج إيطالي سيصور فلما روائياً تدور أحداثه في مدينة الناصرية - ثم بدأ يلتقي بالأدباء والفنانين واحداً تلو الآخر ليعقد معه وثيقة صداقة ومحبة قبل وثيقة العمل في فلمه الحلم.. قال بعضنا:

-الناصرية ستدخل التاريخ من باب الواقعية الإيطالية في فلم مخرجه ستيفانو رولا.

جيئة وذهابا بين روما والناصرية مرة أو مرتين أو ثلاث، وفي كل مرة يقدم بها رولا يتقدم مشروع فلمه الحلم خطوة خطوة، وفي غفلة من الزمن ينسف كل شيء ويطفأ الحلم.

الأمر لم يرق للمارقين والقتلة، مرغوا الحلم تحت أقدامهم مقدمين لك هديتهم التي يتداولونها كل يوم - صهريجاً محملاً بمئات الكيلو غرامات من الدمار معبأ بإرهابهم - طعنوك وقتلوا الآخرين الأبرياء معك، اغتالوا السلام وأمن المدينة الذي تنعم به لفترة من الزمن، لم يرق لهم الأمر كثيراً، نفذوا فعلتهم صباح يوم ١٢/ ١١/ ٢٠٠٣ أمام مقر القوات الإيطالية، قتلونا معك بنصل سكين واحد.. تطايرت الأجساد في الهواء، وتشظت الكاميرا هشيماً متطايراً في سماء الناصرية وجسد رولا تحت الأنقاض محترقاً بحقدهم.

ما الذي فعلته يا رولا وفيم الحقد والإمعان فيه؟ وما الذي جاء بك إلينا؟ نحن لا نستحقك ولا نليق بصداقتك التي رسمتها لنا بحلمك القرمزي.. نحن لسنا إلا حفنة من مغتصبي الأحلام وقتلة مأجورين ومارقين وسفاحين متعطشين دوماً لشرب الدماء والاغتسال بها.. كذب التاريخ عليك، فلسنا أصحاب أور وأحفاد أورنمو وجلجامش وأنكيدو واوتونبشتم، نحن ماهرون في اصطياد البراءة والنقاء وسفك الدم.. نتلذذ بإراقة الدم على إسفلت الشوارع وسرقة ما يحمل في اليد بعد لحظة النسف والتفجير، كذبنا عليك يا رولا كثيراً حين أوهمناك بأننا أصحاب فن عريق وحضارة ضاربة في جوف التاريخ، نحن نعشق رائحة البارود بدل الهيل والديناميت والقنابل اليدوية ونلتهم الرصاص مع الخبز، وصناع قرار في القتل الجماعي، وأساتذة ماهرون في إجهاض الأحلام وصياغة المؤامرة ومسكونون في الانصياع لفكرة اللاشيء والوهم.

ما فائدة النعي والنواح الأخرس، وما نفع العويل والرثاء وعينك مفتوحة تحدق فينا وكأنها تلومنا على ما وعدناك به؟. سيغرس الصليب المعقوف على التراب المضمخ بالماء، والنشوة لم تكتمل بعد، أيها الشقي الحالم بالسلام في بلد لا يعرف غير الحروب والقتل والطعن من الخلف، لا يعرف سوى قذائف المورتور وبنادق نصف الأخمص وذوات القبضتين، ينامون في الظهيرة القائظة تحت سرف الدبابات ويأكلون في الخوذ، يرقصون ويتناسلون قرب الجثث المتشظية بل ينامون مع الجرذان وهم مدججون بالسلاح حالمين بالموائد المترعة - أقصى غاية الحلم.

أهو حلم أبلق أن تسمل عين الكاميرا وينزوي الحلم شريطاً دامياً في زمن كأنه خارج تيار الزمن ودون وداع أو زهور أو قبل؟ والنشوة لم تكتمل بعد والحرية التي لم نبلغها بعد قد تبخرت مع هول ما حدث.. رولا، إن أزقة المدينة التي لم نصلها بعد لم تكن وفية كل الوفاء معك، وحضارتنا المزعمة التي كنت مبهوراً في تفاصيلها اندحرت وتراجعت في بطون الكتب وشواخصها تغطيها الأتربة ورمال الصحراء وتتبول عليها الكلاب الضالة كل صباح، إن آلهة وملوك أور الصلعان سيدفعون ضريبة القتل العمد لروما أن يهدوا لعمدتها بعضاً من حجارة زقورتها رمزاً (لتلاحم قوى الشعوب والاتصال الحضاري الفعال). ونحن الثلة الباقية في المقهى خلفك يا رولا معزين بقدومك ومقتلك بين أيدينا بعين باكية مثل عجائز مدننا الرمادية العجفاء يعكسه عزاء روما والبندقية واسخيلوس وفيصر وانطونيو وارخبيلات البحار التي ستحفظ روحك من الضياع تحت جنح فراشة، فلا الموت والنسيان والشظايا والمارقون القتلة قادرون على محو حلمك الذي وسع الأفق الصحراوي لمدينة تستحي من رثائك وتشعر كعادتها بالإثم مما جرى.

إن مياه الفرات خجلى مما حدث، فتراها تمر خلسة وبحياء قرب مكان الحادث، وأصدقاؤك لايقوون على حضور مراسيم التشييع والعزاء وإلقاء باقة ورد على تراب ضريحك في مقبرة رسل السلام.. وفي التلفاز كانت كلوديا عشيقتك الشقراء تقف عند القبر موشحة بالسواد وبنظارة سوداء وباقة ورد تندلق من بين يديها على تراب قبرك وخلفها كان أبوك بعكاز وقبعة جلد بنية يستقبل تحيات المعزين من جنرالات وفنانين وأدباء وأصدقاء يتمتم ببضعة كلمات ساخطة على القدر الذي ألم بك يا رولا.

نم يا صديق الحالمين في قبرك قرير العين، فهو زمان الرقاد الأبدي واغتيالات الحلم والأشياء الجميلة. نم يا صديق الحالمين غير آبه بما حدث فهذا بعض من ضريبة الحرية تقدمها أنت لنا ونحن لا نعرف سوى التفرج والنعي والمبالغة.. وثمة لحن ينساب من بين أوتار عود عراقي يقدم مرثية الليل بخجل صبياني:

اليوم مات صاحبي
عيناه نجمتان.. هذا مكان الغدر
وزمان القحط.. فألف تحية وتحية وأنت في رقادك السرمدي، ومعذرة يا ستيفانو رولا فقد قلنا منذ زمن بعيد أن شيمتنا الغدر.

عـراقيـــون

عباس خضر

حزانى
يتناسلون في الرماد،
ويحتسون الشاي،
وينصتون للأقاويل والعابرات،
وللأغاني التي تتأبط المأتم.

حزانى
وصامتون
بلا طاولات أو مصاطب،
يحلقون فوق الضباب،
فرادى
يصطادون تحت أعمدة الضياء،
وحطام الزجاجات،
وكاليتامى
يرثون
أعقاب السجائر
والدخان
وقطيع الغيوم في السماء.

حزانى
يهيمون في الأحاديث،
ويجرعون الكأس إلى آخر
حائرين بدوار البحر
والتعاويذ
وبامرأة أطلقت غيمة من كفها،
ومضت..
وحيدين كالخرافات
يركضون وراء الأشباح
إلى الأقبية
ويكتبون القصائد
للماء الهارب
من بين أيديهم.

حزانى
يتناسلون في الرماد والحروب
صامتين وكأن هواء الأزل
وزعيق الأعالي
لم يخلف لهم سوى
حرائق الظل
وهذه الشمس التي
تصبح عليهم كل صباح
بعبوة ناسفة

بلـــورة
مشروع الفكر الحي

ياسر جاسم قاسم

لو أردنا أن نرجع قليلاً إلى الوراء لمناقشة أفكار كثيرة تدور رحاها حول منطلقات معينة لمحاولة رفد حركة الفكر الحي التي دعا إليها نخبة مهمة من مثقفي هذا العصر حيث قسموا الفكر الذي تتداوله الأقلام بين عدة أقسام ووضعوا على رأسها الفكر الحي وبعضهم أسماه الفكر النابض والبعض الآخر اصطلح عليه بالفكر المتدفق من البواطن الشعورية. وبغض النظر عن كل هذه الاصطلاحات والمسميات بقى مفهوم الفكر الحي يتطور بتطور الزمن والأمة في سبيل رفد السبل المعرفية بالقدرة المستطيعة على رفع مستوى الأمة إلى أفضل مستوى.

الفكر الحي هو انطلاقة وجدانية من دوافع إنسانية غايتها رفع المستوى العام لتفكير الأفراد وثم الإنطلاق لرفع مستوى المجتمع وهذا ما دأب عليه مفكرو عصر النهضة في البلاد العربية حين أرسوا دعائم الفكر الحي في رفد المجتمع رفداً جوهرياً في سبيل توجيهه إلى التفكير والفكر الحيين أي بعبارة أخرى نحن لا نستطيع أن ننشئ جيلاً يفكر تفكيراً حياً بناءً لرفد قوام المجتمعات إلا بتربية هذا الجيل تربية بناءة لا تستطيع المؤثرات الخارجية أن تنشب أظفارها به بل إن تربيته تأبى له إلا الصحيح وبالتالي سينشأ هذا الجيل وتفكيره الوحيد الوصول لنهضة شاملة تعم بلاده وترسيها على بر الأمان. ومن الدعائم التي دعا إليها المفكرون هي تشجيع وتنشئة الشباب نشأة ثقافية بارزة فبادر قسم كبير من المفكرين لتشجيع الشباب في سبيل الكتابة والقراءة على المطالعة وإرسال البعثات في سبيل تنويرهم بالمشاريع التنويرية التي أرسى دعائمها الغرب واشترطوا عليهم أن يقتبسوا منهم ما ينفعهم في سبيل نهضة بلادهم بشرط أن لا ينسوا قيمهم ومبادئهم الأصيلة التي تربوا عليها وتمت حركة تشجيع الشباب حتى أنشئت صحف خاصة بهم في سبيل تنشئة جيل قادر على أن يفكر تفكيراً حياً بارزاً والدعوة لمفكري الأمة أن يجعلوا هذه الأسس بارزة في مجتمعاتنا كي نستطيع أن نصنع جيلاً قادراً على أن يفكر تفكيراً حياً مساهماً في بناء دولته وأمته.

قصة قصيرة

بعض ما حدث

طامي هراطة عباس

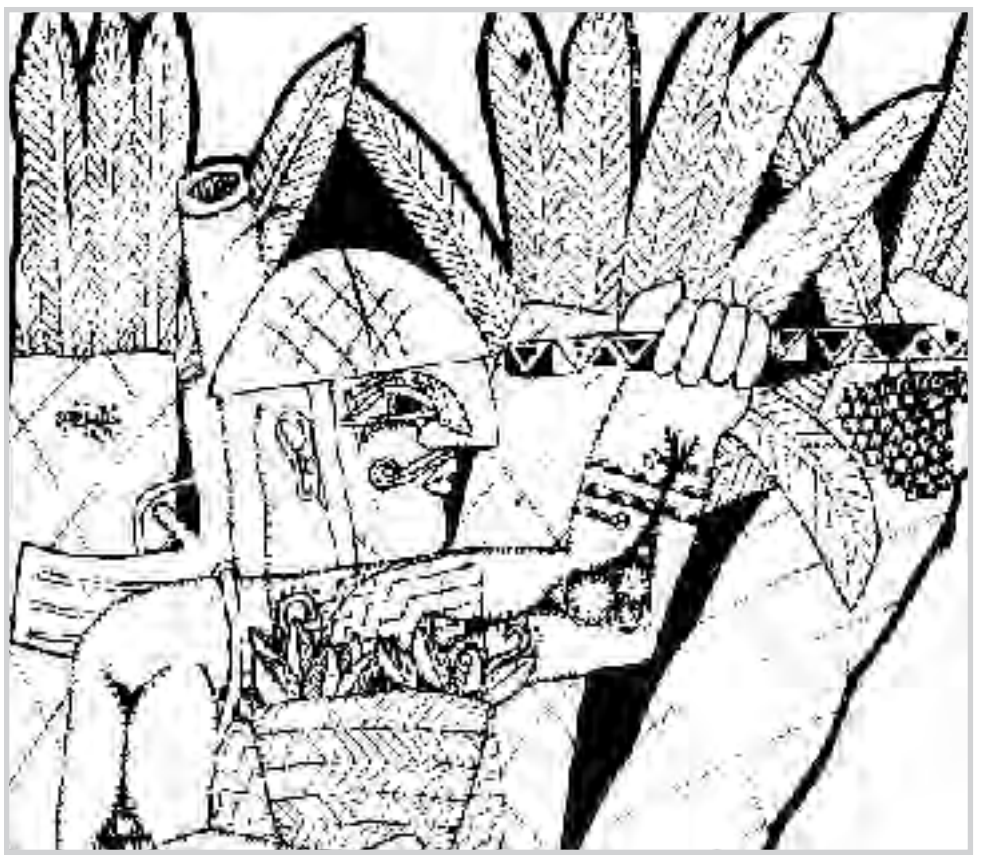

كان بوسعه أن يحتمل أي شيء، إلا نزق ذلك الضوء المحير وتحولاته من السطوع الباهر المفاجئ إلى الخفوت التدريجي.. أو انتقالاته المعذبة في عالم الألوان الحارة أو الباهتة، وفيضه السخي على جسده الممدد العاري، ولم تكن ثمة مصابيح، أو كوى منيرة تعلل تدفق الضوء، أو تبرر انغماره المحير والكلي فيه، في تلك اللحظات كانت قدرته على الاستيعاب تتدنى على نحو مريع، إذ لم يجد أية معالم تشير الى ملامح المكان وزمانه، وكان دوران عينيه المتسارع في محجريهما يفضح حيرته وبلادته، لكن الخبرات الجديدة التي اكتسبها زادت من فجوة ارتباكه وتخبطه، فحين فقد قدرته على المشي، راح يتدحرج بكل الاتجاهات ليصل إلى مكان ما، لكنه اكتشف أنه عالق في متسع من الضوء لا يمكن جس نهايته، أو فراغ مضيء بلا حدود، فأدرك أنه عالق في متاهة الضوء تلك بوسعه فقط أن يتدحرج أو ينقلب على أحد جنبيه أو يراقب حركة أطرافه الثقيلة، ويفتح عينيه أو يغمضهما، مستسلماً لانتظار سائب في مكان غابت مقاييس زمنه، فليس هناك نهارات ولا أماس، ومثلما يهيمن الصمت والسكينة المريبة على المكان، كانت أحاسيسه وغرائزه صامتة ومجدبة، فلم يعد يشعر بالجوع أو العطش، إنه بالكاد كتلة مشوهة مركونة في انهمار الضوء.

كانت ذاكرته مشوشة تماماً، يحاول التقاط أصداء أصوات وصور موحلة، يزيل ما علق بها من وحل، يعيد تركيب رموزها وفهرستها، لكنها تبدو غير موحية وأحياناً شديدة الإبهام، تجوس مخيلته صوراً راعشة لامرأة متوسطة الجمال وامتداد رملي طويل يعج بالصخر النابت، وقاطرات صغيرة بهيئة لعب، وأخرى ضخمة وعملاقة، ولم يكن قادراً على التمييز بين الإيقاع الرتيب لعجلات القاطرات على القضبان ووقع حوافر الخيول على الأرصفة الحجرية. كانت ذاكرته وعاءً ضخماً من الأصوات والألوان والصور والروائح، ارتجت بقوة فصارت خليطاً غريباً من تراكمات الطفولة والمراهقة والنضوج اختلطت ببعضها فشكلت تصوراً فوضوياً مبهماً عصياً على فهمه. ولهذا فقد بدت له كل تلك الأشياء جديدة وغريبة تماماً، وكأنه يتلقاها لأول مرة.. وكانت بعض الإشارات والصور المزدوجة، تأتيه أحياناً مثل قيء عاصف يهز بدنه، فتعتصره موجات المندفعة، وحين يفقد القدرة على قطعها أو فهمها، ينقلب على جنبه بعنف، متدحرجاً بسرعة شديدة فتبدو تلك المحاولة أشبه بردة فعل اكتسبت اشتراطها من الانهيار الفوضوي لخزين ذاكرته المتناثرة.

تستفزه الروائح المتسربة، يملأ تجاويف رئتيه المحتقنة بأبخرتها المتكاثفة في فضاء المكان، فيطبق جفنيه مهوماً في التضاريس المعتمة لذاكرته المزفة. ثمة أصداء بعيدة تنبعث على مهل، تتجاوز الصور العابرة والمظللة لوعيه المنهار، وفي اللحظة التي يحاول التقاطها وتصنيفها، يضوع في المكان عطر آخر، ترتخي شفتاه المزموتان، يحس بدفء يقترب من وجهه، يستشعر لهاثاً فاضحاً قرب أذنيه فتجتاحه ارتعاشة مفاجئة، تحرقه الرغبة حين يداهمه اغتلام عنيف، يحاول الإمساك بالرغبة الطيف التي تفترسه دون طائل، يتحسس نصفه السفلي بسرعة وعنف، يقبض على عضلات فخذيه الهزيلين يعتصرهما بقوة، ويغرز أظفاره النامية فيهما، ثم يسحبهما بعنف شديد فتتخلف أخاديد قصيرة من دم وقيح..

ينوء بألم فخذيه ورغبته المضنية ويعتريه ارتعاش عنيف يكوي جسده فيتدحرج على جنبه محاولاً النفاذ من محبس الضوء الذي يزداد سطوعاً كلما اندفع جسده العاري متقلباً في مداه اللامتناهي.

استنزفه ذلك الجهد فاستشعر عجزاً هائلاً يعتريه ويقيد حركته، فأطبق جفنيه محاولاً منه نفاذ الضوء إلى عينيه الملتهبتين بوخزه الموجع، لكن ذلك لم يوقف اختراقه، فمضى يبصر عبر غشاء جفنيه انعكاسات لصور ورؤى مطبوعة بلون دموي أحمر، فيمنحه ذلك شحنة من سكينة طارئة، توقف هذيان جسده المرتعش، فيتصلب في كلية ساكنة، متوافقاً مع صمت الفراغ الذي يحيط به، لكنه يستشعر حركة حية فيما حوله، يفتح عينيه مستقبلاً ضوءاً يتدنى سطوعه بالتدريج، فتقترب منه تلك الكائنات وتحلق فوقه، يحط بعضها على جسده ولم تكن لديه أية ردة فعل تجاهها، حين لم يتعرف على ماهية أشكالها الغامضة، لكنه أدرك أنها تجوس جسده وتعبث به، وإن هناك قوة تعتصر رأسه بضغط متصاعد يكاد يخرج عينيه من موضعيهما فيطلق صرخة حادة يبتلعها الفراغ.. استقر لاهثاً على قفاه، وراحت أنفاسه تهدأ بالتدريج فأحس أن فضولاً يتنامى في داخله لمعرفة ما حدث، وحين عجز عن فهم ذلك، قرر أن يتفحص جسده، فمضت أصابعه تلامس وجهه وتنحدر إلى صدره ثم فخذيه..

شعر أن جسده قد تناثر في زمن ما وأعيد تركيبه على نحو فظ، كانت أصابعه تكتشف تشققات جافة وآثار جراح ملتئمة وأضلاعاً وعظاماً منحرفة.

انتظمت ذاكرته على نحو بطيء، أدرك أنه ليس في المكان الذي رغبه بقوة، فداهمته مرارة قاسية وخذلان مروع، فانخرط في نواح طويل وهستيري فراحت أظفاره وأسنانه تستبيح جسده وتمزقه بعنف مخلفة جروحاً دامية جديدة.

داهمه وهن شديد، فكف جسده عن الحركة، واستغرق طويلاً في تأمل غير مجد، شعر بعدها بجوع شديد، وفيما كانت حاجته للأكل تتعاظم، كانت هناك كتلة لزجه حمراء تقترب منه على مهل، وحين أصبحت بمتناول يده اقتطع جزءاً صغيراً منها، ودسه في فمه، لكنه لم يكن قادراً على بلعه، إذ كان المريء مغلقاً بقطعة صغيرة من حزامه الناسف.

مسـاء نـاقــص

علي النجدي

ناقص هذا المساء
علاماته فانية
تلهث مفاتيحه في الظل
وسؤاله ينتحب!
أمن أجل تذكرة
تحتطب الأيام
الخيبة يغسلها انتظار
ما الذي ترمي إليه أيها النـ
إعلم إن سماءك راحلة
والوقت بارد
الفزع يقسم السرير
وفي المرآة يعشعش قلق
ما الذي يقودني إليك
غير قميص ينز فراشات
الشتاء بارد
والحروف قاطرة فحم
أغنية تشذب الخسارة
أزيح نيراني بجليد
والغياب وشم
ثمة حلول
لا أعرفها
سأتركها
على طاولة خضراء
وأبتكر حضوراً
وأنام

زحام الزقاق السعيد

أطياف رشيد

تزدحم النوافذ بالمصابيح
وفي عيني
تزدحم النوافذ والأزقة
تتفتح مثل ليل في شرفات
والعمر مهرجان
مؤجل العزف
تزدحم فيه الذكريات
والأبناء
والعجائب
والقفار السبع
والسموات الخفيضة
وألف كلكامش
خذله السبيل إلى الماء
تزدحم فيه الحروب الكثيرة
وأمهات الحروب
وبقايا الحروب
وشمال غرب الحروب
واستياء المسافات الندية
دوما بماء الرحيل
وانهماك الغيم في نزف أخير
ممرات طويلة
تفتح أبوابها
والقلب أبيض
شاء أخيراً
أن يتلو حرف حضور
من آس